التقييم التقليدي اقصى اليمين واقصى اليسار المعروفين في الوطن العربي ، وضاقت بالتيار العربي القومي . وما من شك انه بالاضافة الى مجموعة الاسباب التي أدت الى هذا الاستثناء ، فان هزيمة الانظمة التقدمية ، ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة ، في الحرب الحزيرانية ساعد على تكريس هذا الاتجاه . وهو اتجاه وافق هوى يمين المقاومة ويسارها على حد سواء .

وعلى الرغم من عدم الغياب التام للاتجاه الوحدوي في حركة المقاومة الذي تمثل بمنظمة او اثنتين من المنظمات الصغيرة وبعدد مؤثر من الشخصيات المستقلة ، الا انه من الصعب التحدث عن اثر فعال لهذا الاتجاه في مسار حركة المقاومة ، وبالتالي فيما وصلت اليه من نتائج .

وقد تسبب هذا الغياب ، فكرا وعملا ، بتخبط حركة المقاومة في علائقها العربية . وكان من الطبيعي ان تتخبط ، خصوصا وان التفكير القطري داخلها ليس تفكيرا واحدا ، بل هو محصلة تفكيرين متناقضين : احدهما يؤمن بنوع من التعامل مع الانظمة العربية وفق استراتيجية قطرية ضيقة ، وآخر لا يؤمن ابدا بمثل هذا التعاون بل يصنف جميع الانظمة العربية ودون استثناء على انها جزء من معسكر العدو . وقد أدى هذا التناقض بين الفكرين الفلسطينيين القطريين الى سلسلة من الاخطاء الفادحة التي عرفت الرجعية العربية كيف تستثمرها لصالحها كما حدث في ايلول ١٩٧٠ في الاردن ، كما ان هذا التناقض برر للانظمة المترددة والعاجزة الخروج من مأزقها الحرج واضعة كل اللوم على حركة المقاومة وقيادتها .

وقد يكون من المفيد ضرب مثل بسيط على هذا التناقض والحدود التي وصل اليها وعلى السذاجة التي وصلت اليها حركة المقاومة في « ترقيع » مواقف فصائلها ككل : في المجلس الوطني الاخير الذي عقد في تموز ١٩٧١ في القاهرة اتخذت اللجنة السياسية قرارا من بندين : الاول منهما يندد بالانظمة المترددة والمتواطئة والمساومة الى اخره ، والثاني منهما يطالب الدول العربية بدفع التزاماتها لمنظمة التحرير الفلسطينية . بندان متناقضان في قرار واحد يوضحان بكل جلاء نمطين من التفكير في قيادة واحدة ، ويوضحان في الوقت ذاته قصورا كبيرا في مستوى التفكير السياسي الذي وصلت اليه قيادة المقاومة . وكما قيل على لسان احد اعضاء المجلس في تلك الدورة ان قيادة الشعب الفلسطيني تخاطب نفسها في المرآة لترضي ذاتها ، ضاربة بعرض الحائط الرأي العام والمنطق العام .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقد غاب عن الفكر الثوري القطري الفلسطيني (يمينه ويساره) وقد انتشى في ١٩٦٨ و ١٩٦٩ بالبالونات الاعلامية التي صدرت عنه ومن حوله ، ان تحرير فلسطين لا يمكن ان يكون مهمة فلسطينية محضة . وان شعار « لا يحرر فلسطين الا الفلسطينيون » انما هو شعار مخادع ساهمت الانظمة العاجزة والعميلة على نشره لا حبا بشعب فلسطين ، ولا رغبة منها برفع الوصاية عنه ، وانما — وفي احسن الحالات — لغسل يديها من المشكلة الفلسطينية والاكتفاء بمشاكلها القطرية .

وغاب عن حركة المقاومة بالتالي ان مثل هذا الخط القطري لحركة المقاومة لا يمكن ولا بحال من الاحوال ، بل ولا حتى في حالة انتصاره ان يؤدي الى ما هو أكثر من « دويلة فلسطينية » على جزء من تراب الوطن ، وضمن مشروع تسوية عامة . وهو ما كاد ان يعرض على حركة المقاومة قبل ايلول ١٩٧٠ ، حتى تنبه النظام الاردني الى مصالحه القطرية ، فشن تلك الحملة البربرية على حركة المقاومة وشعب فلسطين .

ان النظام الاردني بحكم تكوينه وطبيعته أقرب من حركة المقاومة الى فهم واقع الانظمة العربية وهو بحكم اتصالاته المباشرة وغير المباشرة مع العدو يدرك تماما ان الصيغة العربية الرسمية السياسية لا تستطيع ان تحقق ما هو أكثر من « ازالة اثار العدوان »